المبادرة، في مجال السياسة الخارجية[1].

لقد انطلقت المدرسة التقليدية من مفهوم السيادة القانونية على اقليم معيّن. فالدول هي الكيانات الوحيدة القادرة على التأثير في مجريات السلوك الدولي. ومعنى ذلك انه، طبقاً للمدرسة التقليدية، لا يمكننا التعامل مع م.ت.ف. على انها تمثّل سياسة خارجية لوحدة فاعلة في العلاقات الدولية. فالمنظمة لا تمارس سيادة قانونية على فلسطين، وتقع مؤسساتها خارج فلسطين، بل ولم يعلن عن قيام هذه الدولة الاّ مؤخراً. لكن هذه المدرسة، التي سيطرت حتى نهاية النصف الاول من القرن العشرين على وجه التقريب، سرعان ما برز تخلّفها عن حقائق الحياة السياسية الدولية، وظهر تعريف جديد للفاعلين في العلاقات الدولية، تتبنّاه مدرسة جديدة، يندرج في اطارها معظم رجال الفكر والمحللين في مجال السياسة الخارجية. وطبقاً لهذا التعريف، فان الطرف الفاعل في العلاقات الدولية هو الطرف الذي يملك القدرة على التصرف والسلوك الذاتي، بغرض تحقيق أهداف خاصة به. ويعني ذلك القدرة على الحركة المؤثرة في السياسة الخارجية للوحدات الدولية الأخرى.

بناء على ذلك، تمّ تصنيف عدد كبير من الفواعل الدوليين الذين لا يحملون صفة دولة، كأطراف في السياسة الخارجية، ومن ثمّ في العلاقات الدولية. من هؤلاء المنظمات غير الحكومية، والحركات الثورية، والشركات متعددة الجنسية، والاتحادات التجارية، وشبكات البحث العلمي، والتنظيمات الدولية، بل وبعض الجماعات الداخلية شديدة التنظيم، كجماعات المصالح وجماعات الضغط. وهناك من ينظر الى الرأي العام العالمي على انه أحد الاطراف المؤثرة في العلاقات الدولية[2].

انطلاقاً من هذا النهج، الذي يلقى قبولاً واسعاً في الوقت الراهن، تعتبر م.ت.ف. أحد أطراف السياسة الخارجية في المنطقة العربية (الشرق الأوسط)؛ وهي، على نحو واضح، تعدّ طرفاً فاعلاً في السياسة الدولية. فسياسات المنظمة، النابعة من فعالياتها الذاتية، تتصل، على نحو وثيق، بالشعب الفلسطيني، وتعبّر عنه داخل فلسطين المحتلة، وخارجها. وللمنظمة مركز العضو كامل العضوية في المحافل العربية جميعها، وبخاصة في جامعة الدول العربية، الاطار الممثل للنظام الاقليمي؛ ولها مركزها في التنظيمات والمحافل الدولية المختلفة، وعلى رأسها الامم المتحدة ومنظّماتها المتخصصة، حيث أفرد لها مقعد المراقب الدائم[3]. كذلك، فان أسلوب عمل المنظمة وأداءها السياسي الخارجي، طوال ربع القرن الماضي، يقدّم دليلاً على وجود آلية منضبطة في مجال الحركة الدولية، وبحيثيّة ربما يفتقر اليها كثير من الدول المستقلة، بالمنظار التقليدي.

وتعدّ هذه الناحية الأخيرة، المتصلة بطريقة أداء المنظمة، هامّة في سياق البحث في موقع المنظمة في السياسة الخارجية، في المحيطين، الاقليمي والدولي. فمن بين المعايير التي يصوغها الفكر السياسي لتصنيف الوحدات الفاعلة في العلاقات الدولية، هو ان تمتلك هذه الوحدة برنامجاً لا يصوغه، أو يضعه، فرد واحد بعينه، أو قلّة بذاتها، لكن يتمّ التعبير عنه من خلال تنظيم معيّن، يقوم بتعبئة الموارد، وتحديد الأهداف، والسهر على تطبيق البرامج بعد صياغتها[4]. وهذا الشرط متوفر تماماً في مسلكيات المنظمة، التي تشتمل على ترتيب تنظيمي مؤسسي يقوم بصوغ البرامج والسياسات العليا، وينفّذها، ويخضع لقواعد محددة. كما انه مسؤول، بشكل واضح، تجاه الشعب الفلسطيني، عن الكيفية التي يتمّ بها مختلف العمليات المذكورة.

هكذا يحق لنا، اذاً، التحدث عن سياسة خارجية فلسطينية تسهر عليها م.ت.ف. والقول ان لهذه السياسة أهدافاً تسعى م.ت.ف. الى تحقيقها، وأدوات وآليات لتحقيق هذه الأهداف؛ كما